الإســـلام والمـــرأة
في أبعادها الثلاثة

من أحـــاديث
السيد محمد علي الباقري

الإســـلام والمـــرأة

في أبعادها الثلاثة

من أحـــاديث

السيد محمد علي الباقري

الإســـلام والمـــرأة

في أبعادها الثلاثة

تم إعداده من مجموعة أحاديث تحدث بها

السيد محمد علي الباقري في مسجد البلوش

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

أبعاد أو جوانب خلقة المرأة وكيف ينظر الإسلام إلى كل منها، هذه كانت البداية لسلسلة من الأحاديث المسموعة ألقاها السيد محمد علي الباقري –حفظه الله– في مسجد البلوش في جمادى الأولى سنة ١٤١٢هـ بمناسبة وفاة الصديقة الطاهرة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، ثم استتبعتها أحاديث عن الانحراف الحاصل في هذه النظرة عند المسلمين، وأثره على كل من المرأة والرجل.

وقد علّق السيد –حفظه الله– عليها في حينها: (تعجبت أني وجدت إقبالا واهتماما وتفاعلا مع هذه الأحاديث، كنت أتوقع أن يكون التفاعل مع بعض الأحاديث الأخرى التي تمسّ الأصول الفكرية التي يجب أن يبني عليها الإنسان المؤمن دينه يكون أشد وأوسع،...، لِمَ هذا التفاعل مع هذا الحديث، هل لأنه يمسّ مشكلة قائمة؟ أنا لا أتحدث عن حل لمشكلة، وإنما أستعين بوجود مشكلة لطرح جذور فكرية التي لولاها فإن حل المشكلة لا يعني شيئا كبيرا...)

وقال في موضع آخر: (إنني لا أريد أساسا أن أعالج بهذا الحديث مشكلة خاصة، بل أذكر هذه المسألة في الأصل كمظهر من مظاهر الشريعة الإسلامية الشاملة التي تهدي الفكر والإحساس والسلوك الخارجي).

ولأننا وجدنا في هذه الأحاديث ما يمكن أن يبلور صورة هادية للمرأة والرجل في عين الوقت فقد ارتأينا تحويلها إلى حديث مكتوب بشيء من التصرف الذي نرجو أن لا يكون قد أضرّ بأصل الحديث، والله وليّ التوفيق.

ذي الحجة ١٤٤٤هـ

مجموعة من حضور المسجد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعباد الله المخلصين لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أتحدث بمناسبة وفاة الصدّيقة الشهيدة سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عن المرأة وأبعاد شخصيتها الواقعية. وهذا الحديث موجه في المرتبة الأولى إلى الرجال (وخاصة الأزواج)، وإلى النساء أنفسهن في المرتبة الثانية، ذلك لأني أرى أن الرجل إذا لم يكن ملتفتا إلى تلك الأبعاد ولم يعرف رسالته تجاه المرأة فسوف يركز على بُعد واحد منها بتصور أنها عبارة عن هذا البعد فقط، وبهذا تواجه المرأة عقبة تجعلها تنساق مع الواقع فيكون فساد كبير.

المرأة بالمنظور العالمي

مسألة المرأة مطروحة في العالم بقوة، سواء في الجانب الفلسفي والفكري أم التشريعي أم في البعد الواقعي والممارسات الفعلية.

ولعل من أكثر القضايا التي تشغل تفكير العالم اليوم هو قضية مساواة المرأة بالرجل، حيث يوجد سعي حثيث من قبل دول ومنظمات، بل وأفراد أيضا، لإلغاء الفوارق الموجودة بين الجنسين في

البـعد الاجتـماعي أو الديني، حتى تتمـتع المرأة بـ"الحـرية" التي يتمتع بها الرجل، وتتحقق "العـدالة" بينهما[1].

فمثلا على الصعيد التربوي من الملاحظ في المناهج الآن عدم وجود مخططيْن أحدهما لتربية الأولاد والآخر للبنات، وإنما هو مخـطط واحـد وتربيـة موحّـدة، مـدارس موحّـدة ومناهج دراسية موحّدة، كذلك على الصعيد العملي المرأة اليوم تناهض الرجل وتواكبه إلا في بضعة أمور. وهذا لا يقتصر على العالم الكافر بل ينطبق أيضا على العالم الإسلامي المتأثر به والمنساق معه سواء في رؤيته أو في سلوكه، حيث أن المرأة المسلمة لا تختلف الآن في تطلّعاتها وتصرفاتها المشابهة للرجل عن المرأة الكافرة، باستثناء قليل من مظاهر سلوكية كأن تغطي شعرها وجسدها وتلبس ملابس معينة ثم تفعل ما يفعله الرجل. وأكثر من ذلك، انتشرت هذه النظرة حتى في الأماكن الدينية، فإنك تكاد لا تجد مكانا لم يخصص فيه جانب للمرأة كما خصص للرجل.

ثم إنه لم يكتف المسلمون بالتجسيد السلوكي للمتبنيات العالمية فحسب، بل أخذوا بالتركيز على أن الإسلام أيضا يتبنى مساواة المرأة بالرجل. فكم من كتب دينية قد أُلّفت لإثبات أن المرأة في الإسلام لا تختلف عن الرجل إلا في بعض الأشياء الخاصة، كالحجاب وما شابهه.

---

(١) لهذه الكلمات معان إسلامية مستمدة من القرآن ومحكمات سيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، إلا أني استعملتها في هذا المـورد بالمعنى المتـلوث المتـداول في العالم الآن.

فمثلا، وفي هذا المسار، هنالك كاتب ديني معروف بفكره وعلمه، ذكر أن الإسلام لم يشرّع للمرأة القناع وغطاء الوجه، وأن ذلك بدعة دخلت الإسلام بواسطة أقوام كانوا قد أسلموا مستصحبين معهم هذه العادة... ، إن المتدبر العارف سوف لا يجد مبرّرا لهذا التركيز إلا مسايرة غير مقصودة من الكاتب للنظرة العالمية تجاه المرأة باعتبارها تساوي الرجل ولا تختلف عنه، وعلى أساس من هذا العرف العام المتبع لا يمكن دعوتها إلى أن تغطي وجهها، إضافة إلى أن ذلك يعيق نشاطها الذي يفترض أن لا يختلف عن نشاط الرجل في المجتمع.

بعد هذه التهيئة أريد أن أستفيد من هذه المناسبة للتعرف على موقع المرأة في الإسلام بلحاظ ما لها من أبعاد متمازجة في شخصيتها، ومن ثم أشير إلى انحراف نظرة المسلمين للمرأة واتباعهم للشرع العالمي، وهذا ما أود التركيز عليه. وإني لا أريد أن أعالج بهذا الحديث مشكلة سلوكية خاصة، وإنما أذكر هذه المسألة كمظهر من مظاهر الشريعة الإسلامية الشاملة التي تهدي الفكر والإحساس ومن ثم السلوك الخارجي.

المرأة وأبعادها الثلاثة

إني أرى (وهذا الرأي يستند إلى مشاهدة الواقع وملاحظته، الأمر الذي بإمكان أي إنسان القيام به) أن للمرأة ثلاثة جوانب أو ثلاثة أبعاد واقعية متداخلة: جانب أنثوي، وجانب زوجي، وجانب

إنساني. ليست هذه العناوين مصطلحات ثابتة، وليس من الضروري أن تكون دقيقة، فلربما وجد شخص آخر عبارات أدق من هذه، إلا أن المسألة الضرورية هنا هي ملاحظة جميع هذه الجوانب في المرأة، وعدم إهمال بعضها، أو فصل بعضها عن بعض، لكي يتمكن المرء من معرفة موقع المرأة في الإسلام بشكل صحيح.

البعد الأنثوي

البعد الأول للمرأة هو البعد الأنثوي، أو ما يمكن أن نطلق عليه البعد الجنسي على اعتبار أن المرأة تشكل طرفا من طرفي الجنس، وفيه يتعين على المرأة بمقتضى الشرع الإسلامي أن تكون طاعة مطلقة لزوجها وخضوعا كاملا له إلا في موارد قد فرض الله تبارك وتعالى عليها خلاف ذلك[٢]، فيجب عليها الاستجابة له متى ما شاء الاستمتاع بها. والاستمتاع لا يعني المعاشرة بمعناها الخاص فقط، بل يعمّ سائر أنواع الاستمتاع،كأن يستمتع بها بالنظر إليها أو بالحديث معها... وتوجد آيات كريمة إنما تتحدث عن المرأة من هذه الزاوية، كقوله تعالى: "...**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ**..."[٣] إذ

(٢) كأن تكون المرأة حائضا، أو صائمة صوما واجبا، أو مُحرِمة، أو أن تُؤتى بطريقة غير مشروعة.

(٣) سورة النساء (٣٤)

أن على المرأة أن تكون استجابة مطلقة للزوج، وإن هي لم تستجب له فله الحق في ضربها[٤] وليس ذلك إلّا بلحاظ القضايا الجنسية. وكذلك قوله تعالى: "**نِسَاؤُكُمْ حَرْث لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**..."[٥] ناظِر فقط إلى ذلك البعد في المرأة، ولو لم يكن المرء بصيرا ولديه صورة متكاملة عن نظرة الإسلام للمرأة، سيجد في هذا الوصف إهانة شديدة لها.

إن المرأة المسلمة بلحاظ البعد الجنسي ليست حرّة مستقلة، ولا يمكنها أن تكون كذلك وإلّا لتوقفت الحياة الزوجية الصحيحة عن الاستمرار. هي لا تستطيع أن تتعامل على أساس أن لها رغبة كما للرجل رغبة، فترفض طلب زوجها معاشرتها بحجة أنها ليست متهيئة نفسيا لذلك مثلا، بل عليها أن تستجيب له، وتنسّق معه، وتتجاوب مع رغباته.

---

(٤) بشأن هذه المسألة يفتي جمع من الفقهاء أنه إذا ظهرت منها أمارات النشوز جاز له هجرها في المضجع، إما بأن يحول إليها ظهره في الفراش أو يعتزل فراشها بعد أن يعظها، فإذا لم يؤثر ذلك فيها حتى وقع منها النشوز جاز له ضربها، ويقتصر على ما يؤمل معه رجوعها، فلا يجوز الزيادة عليه مع حصول الغرض به، وإلا تدرج إلى الأقوى فالأقوى ما لم يكن مدميا ولا شديدا مؤثرا في اسوداد بدنها أو احمراره، واللازم أن يكون ذلك بقصد الإصلاح لا التشفي والانتقام، ولو حصل بالضرب جناية وجب الغرم. (الناشرون)

(٥) سورة البقرة (٢٢٣)

هذا وبالتدبر نجد أن المرأة مخلوقة أساسا بحيث تتقبل هذا الأمر فطريا، فإن الشرع يساير الفطرة ويساوقها، يقول الله عزّ وجلّ: "**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**"(٦) و "**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**"(٧) ويقول تعالى: "**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...**"(٨). بالإضافة إلى أن تكوين المرأة الجسدي هو الآخر يتناسب لأن تكون استجابة مطلقة للرجل، بخلاف الرجل حيث أن تكوينه يتنافى لأن يكون استجابة مطلقة للمرأة في القضايا الجنسية، وشاهد على ذلك ما نعلمه من إمكانية اغتصاب الرجل للمرأة، واستحالة العكس.

ثم إن نفسية المرأة أساسا نفسية منجذبة للرجل، فالرجل بالنسبة لها مثال(٩)، لذلك تجد أن كثيرات من النساء يحببن أن يكنّ رجالا، وما أظن أن رجلا يحب أن يكون امرأة إلّا نادرا، وإلى هذه

---

(٦) سورة الأعلى (١-٣)

(٧) سورة طه (٥٠)

(٨) سورة الروم (٣٠)

(٩) أنا لم أقم بدراسة ميدانية بهذا الصدد، وإن وددت كثيرا أن يتوفر هذا النوع من الدراسات، فإني أتبنى البحث الذي ينطلق من واقع النفس الإنسانية ولكن مع الأسف الشديد يندر مثل هذه الأعمال في العالم الإسلامي. لذا فإني لا أجد بُدا من الانطلاق في حديثي من الخلفية الموجودة في ذهني الحاصلة من تواجدي بين الناس، ونتيجة اهتمامي بما يمتّ بصلة إلى هذا النوع من المسائل.

الحقيقة الواضحة قد تشير الرواية المروية عن الإمـام الصـادق عليه السلام: **"إنّ المرأة خلـقت من الرّجـل وإنّما همّتـها في الرّجال ..."**[١٠]

تركيز العالم على هذا البـعد

في مقابل النظرة الإسلامية التي تتعامل مع البعد الجنسي كأحد أبعاد شخصية المرأة، لا البعد الرئيس فيها، ركز العالم الضال الفاسد على هذا البعد موحـيا إليها بشتى الطرق أنها ليسـت إلّا هـذا البـعد

---

(١٠) وسائل الشيعة (٤٢/١٤).

أذكر أني كنت قد تطرقت في وقت سابق إلى هذه المسألة، فاتصلت بي إِثْر ذلك فتاة وقالت: أنت قلت أن النساء يتمنّين أن يكنّ رجالا ويتصفن بصفاتهم؟ قلت: نعم،... قالت: أنا أعرف نساء كثيرات لسْن هكذا، قلت كم عددهن؟ فأنا أتبنى الاستقراء، قالت كثيرات. قلت: كم؟ قالت: مليون امرأة، قلت أين هن؟ قالت في الكويت!. سألتها: كم عدد الناس الذين تعرفينهم في الكويت؟ فضحكت!!.. كذلك كانت تجادل، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا، ويبقى هذا هو الواقع حتى لو أنكرته. والمرأة عادة تحاول إنكار وإخفاء أمور كهذه، حتى أني قرأت يوما دراسة لبحث أسباب اختلاف تفكير المرأة عن الرجـل نشرتها مؤخـرا جريدة القـبس (في عـددها ٨٠٠٦ بتاريـخ ١٩٩٥/١٠/٦م) توصلت فيها عالمة الأعصاب راكيل غور مع زوجها في جامعة بنسلفانيا إلى وجود اختـلافات في تركيـبة دماغ كل من الرجل والمرأة، وعَزوا التباين بين تفكيرهما وشعـورهما إلى هذه الاختلافات. ولما ظهرت هذه النتائج، طلبت مجموعة من طالبات الدراسات العلـيا من بعض هؤلاء العلماء عـدم إفشـاء تلك المعـلومات خشـية أن تخسر المرأة مكاسب عشرين سنة من النضال من أجل المساواة فيما لو أُشيع أن الجنسين غير متشابهين!!.

فقط، وأن دورها الوحيد هو إرضاء شهوة الرجل الجنسية بمظاهرها المختلفة. وهي استسلمت ورضيت بهذا الدور، وإن كانت ترفض الاعتراف الصريح بهذا الواقع، بَيد أن هذا الرفض لا يتعدى القول، أو بعض التصرفات المنفلتة هنا وهناك...[١١]

أجل، إنك ترى المرأة إنما تلبس للرجل وتتزين له وتتبرج وتظهر مفاتنها له...، وكلما تفنّنت في هذا الطريق أكثر كلّما باركها الرجل أكثر، لا بالقول، بل بالنظر والتصرفات الأخرى، الأمر الذي يجعلها مطمئنة راضية. ثم يوحي إليها فيقول: (إنك حرّة) فتشعر براحة، من دون أي دليل غير أن الرجل هكذا قال.

لقد كانت الاستجابة للرجل بُعدا من أبعاد حياة المرأة، فاستغلها الرجل الضال المتبع للشهوات وجعلها كل كيانها، فكفرت بأبعادها الأخرى تبعا للرجل الذي كان قد كفر بالله واليوم الآخر واتبع هواه... هكذا فسدت المرأة، وكان من الطبيعي أن يرتدّ فسادها على الرجل فيزيده فسادا، فتتأثر بفساده... وهلم جرا.

---

(١١) إن المرأة لَتتأذى إن قيل لها أنها قد تخّلت عن شخصيتها وغدت طوع أمر الرجل، ذلك لأنها ترى أنها حرة، تفعل ما هي تريده، لكنها في الواقع تفعل ما الرجل يريده. لقد ذكرت أني لم أقم باستقراء، بإمكانك أنت أن تقوم به لكن يجب أن تكون حذرا جدا لأن المرأة كثيرة المواراة، فهي تخفي هذا الجانب، فلو سألتها مثلا: هل أنت خاضعة لرغبات الرجل في التزين، أنكرت ذلك.

دعوى تحـرير المـرأة

إن المرأة قد استغلت عبر هذا الشعار استغلالا سيئا، فهي كانت تبحث عن الحرية والمساواة، وقد طرح لها العالم الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر أن الحرية والمساواة المنشودتين تتحققان من خلال البعد الأنثوي. فركز عليها كمحور إثارة للرجل، حتى أصبحت تُستخدم في شتى الوسائل الدعائية كمثيرة جنسية(١٢)، فهل بهذا تكون المرأة حرة؟ وهل بهذا تساوي الرجل؟ إن التساؤل عن مساواة المرأة للرجل وعدم ذلك إنما يتأتّى إذا كانت المرأة كائنا مستقلا في مقابل الرجل، فهنالك أمكن مقارنتها به والموازنة بينهما، أما إذا كانت المرأة عبارة عن استجابة محضة للرجل فحسب، فلا مجال للتساؤل عن مساواتها له.

إنّ المرأة اليوم لا تُطيع الرجل في أوامره فحسب، بل إنها تبحث عن رغباته لتنسق معه. فهي تعيش الرجل في قرارة ذاتها كسـيد وتتطلع لسيادته، لذا هي لم تعد بحاجـة إلى امرأة لتكـون سيـدتها. وبما أن

---

(١٢) هذا الأمر بيّن جدا بحيث أن حتى هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والذين يتبنون تحرير المرأة حسب ما هم يعرّفون التحرير يعترفون بأن المرأة استغلت استغلالا سيئا، وأنها تستخدم بأسلوب رخيص في الإعلانات.

(من ذلك ما نشرته جريدة الشرق الأوسط (في عددها الصادر ١٩٨٠/٥/٢٩م) أن جمعيات حقوق المرأة في بريطانيا نظّمن مظاهرات صاخبة احتجاجا على استعمال المرأة في ترويج البضائع – الناشرون)

الشيطان هو سيد الرجل الآن، فبتبع ذلك هو سيد المرأة كذلك، فكلاهما سيده الهوى والطاغوت.

البعد الزوجي

البعد الزوجي هو البعد الثاني للمرأة باعتبارها أحد طرفي الحياة الزوجية، أو كما وجدتُ بينما كنت أقرأ لأحد علماء الفقه المعروفين –رضوان الله عليهم– أنه يعبر عنه بحقوق المساكنة(١٣). فيمكننا إطلاق تعبير "البعد المساكني" عليه بحكم أن المرأة تسكن مع زوجها في بيت.

يمكن اعتبار هذا البعد بعدا وسطا، حيث أن المرأة في البعد الأول خاضعة بشكل تام للرجل، وفي البعد الثالث –كما سيأتي– مستقلة بشكل تامّ عن الرجل، أمّا في هذا البُعد فهي شريكة له، لها حقوق عليه وعليها حقوق له، وضمن إطار هذه الحقوق يتقاسمان العمل فيما بينهما. فهو إذن بعد تشريعيّ وليس تكويني، على أن الإسلام حين شرّع تلك الحقوق جعلها بحيث تتناسب مع وضع المرأة

(١٣) ذكر هذا الشهيد الثاني زين الدين العاملي عند بيانه لحكم شرعي، لا كتحليل لأبعاد المرأة كما فعلناه هنا، وأساسا إني لم أجد هذا التقسيم في مكان، ويا ليتني وجدت. وعلى أي حال فهو يقول: "والأقوى أن الزوج في ما وراء حق المساكنة والاستمتاع كالأجنبي".

وشأنها كأنثى[١٤]، فدعا المرأة إلى أن تقرّ في بيتها وتعتزل الرجال، ودعا الرجال إلى أن يعتزلوا النساء. ولكن حيث أن هذا البعد قد ضُرب ودُمر، خرجت المرأة من بيتها وصارت تشارك الرجال[١٥].

---

(١٤) الشيوعية كمثال حين أرادت أن تطبق فلسفتها ألغت المساكنة، وركزت على أن المرأة كالرجل تماما لا فرق بينهما، لكل منهما حقوق مساوية ومشابهة تماما للطرف الآخر، يعملان عملا متشابها، ويلبسان لباسا متشابها. هي بطبيعة الحال لم تستطع أن تلغي الجانب الجنسي للمرأة ولو استطاعت لفعلت، ذلك لأن الطبيعة فرضت نفسها. هذه الفلسفة حين التطبيق اصطدمت مع الفطرة فسببت الكثير من المشاكل هناك.

(١٥) إن دعاة حرية المرأة في العالم يعدّون خروج المرأة من البيت تحريرا لها من استعباد الرجل. والمسلمون _تأثرا بالنظرة العالمية_ صاروا يرفعون نفس اللواء وينادون بأن الإسلام أيضا يدعو ذات الدعوة، وأنه هو الذي حرر المرأة –بالمقياس المطروح للحرية– بعد أن كانت مقيدة ومستعبدة في زمن الجاهلية الغبراء. لكن لو اطلع المرء على التاريخ لعلم خطأ هذا التصور، وأنه ليس إلّا محاولة لإثبات مواكبة المسلمين لركب الحضارة العالمية. ففي طيات التاريخ أمثلة عديدة لنساء كنّ يتمتعن بتلك الحرية التي تنشدها امرأة اليوم، حيث كنّ يشاطرن الرجال ويزاملنهم. فالسيدة خديجة مثلا كانت تعمل بالتجارة وما تخلّت عنها إلا بعد بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهند زوجة أبي سفيان كانت تشترك في الحروب مع بعض النساء بطريقتهن الخاصة، ونساء أخريات برزن في الجاهلية كشاعرات في مراتب راقية من الشعر. كما أن التاريخ يحكي عن نساء بلغن شأنا عظيما ككليوباترا التي حكمت مصر، وزوجة إمبراطور فارس التي كانت تجلس معه على العرش... فالعالم قبل الإسلام كان متحررا جدا حسب المقاييس المتبناة عالميا.

إني لست بصدد الحديث بالتفصيل عن حقوق كلا الطرفين، لكن إجمالا يملك الزوج في هذا الجانب حقا وحيدا وهو أن لا تخرج زوجته من البيت إلا بإذنه، أما الطبخ والغسل والتنظيف ورضاعة الأولاد وتربيتهم... وغيرها من الأمـور التي تفعلها النسـاء عادة فليـست من حقه. والرجل يعرف -على الأكثر- أنها ليست من حقه، على اعتبار كونه مؤمنا وقد يكون قرأها في الرسالة العملية مثلا، ولكن السؤال الذي يُطرح هنا بناء على مشاهدة واقع تعامل الزوج مع زوجته فيما يختص بهذه الأمور هو:

هل معرفة الزوج بالمسائل الشرعية تعني تسليمه لها؟

حين يجد الرجل أن على المرأة الاستجابة المطلقة بلحاظ البعد الأول، وأنها حرث لزوجها كما جاء في القرآن الكريم، وللزوج أن يأتيها أنّى شاء، تحصل في ذهنه بالتدريج صورة وهي أن من حقه التصرف في حياتها كما يشاء. مثلا هو يعلم أنه ليس من حق الزوج على زوجته أن تطبخ له، ولكنه في بنائه العملي يتوقّع منها أن تطبخ وتغسل وتنظف له. ولأنه يتعامل معها على أساس من توقعه لا من معرفته، فمن الطبيعي أن يتأذى إن هي لم تفعل.

كذلك فيما يتعلق بخروجها من البيت، توجد هنالك مسألة يحتاط فيها بعض الفقهاء وهي جواز خروج المرأة من دون استئذان

الزوج ما لم ينافِ خروجها حقه في الاستمتاع[١٦] كأن لا يكون موجودا في البيت مثلا، فإذا خرجت المرأة بناء على هذا الفرض، هل يتعامل الزوج مع هذه المسألة بهذه البساطة؟ بغضّ النظر عن أننا نعيش في وضع فاسد يضطر معه الزوج إلى التدقيق في خروج زوجته مراعاة لها ومحافظة عليها، تجد أن الزوج –على الأكثر– لا يتقبل هذا الأمر نفسيا، وإن لم يجد بُدّا من القبول استغل منفذا آخر وهو منع زوجته من الخروج مطلقا، وهذا يحق له شرعا.

بالإضافة إلى قضايا أخرى من قبيل مصاحبتها إيّاه في زياراته لأهله، فرغم أنها ليست من حقه شرعا، إلّا أنه لا يرتضي مخالفتها له وتمنّعها عن الذهاب معه. كذلك استقبالها لضيوفه وخدمتهم، فعلمه بأن هذا ليس من واجبها لا يحمله على إعطائها الحق في أن ترفض الخروج إليهم والقيام بخدمتهم. ولو أنه صمَت إزاء رفضها، أو حتى تكلّم بخلاف الواقع، فقلبه يبقى متأذيا ومشاعره تظلّ رافضة،

(١٦) احتياط بعض الفقهاء في هذه المسألة يعني فيما يعني أنهم متوقفون لا يعلمون إن كان يحق للزوج منعها من الخروج من دون استئذانه إن لم ينافِ خروجها حقه في الاستمتاع أم لا. وإني أركز هنا على أصل المسألة وأطرحها كمفهوم، وأبين من خلالها أبعاد مشكلة قائمة، ولا أذكرها لأروّج خروج المرأة، إذ أنني أساسا لا أتبنى خروجها من البيت، كما أني لا أعلم أحدا من المجتهدين الآن يرى جواز خروج المرأة من البيت من دون إذن زوجها. فمن الناحية العملية يجب أن تتقيد المرأة بإذن الزوج في خروجها سواء هي تقلد المجتهد الذي يُفتي بالوجوب أو بالوجوب احتياطا.

والمشاعر والأحاسيس هي الثمرة الرئيسية للمتبنيات، يقول تعالى: **"فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيما"**[١٧]، أي أن التسليم النفسي مطلوب.

إن الرجل في هذا كله وفي غيره ينطلق من تصور يعيشه في قرارة نفسه وهو أن المرأة يجب أن تكون ذليلة لزوجها بمعنى أن لا تملك أية رغبة في مقابله، وهذا التصور نابع من الجهل بالإسلام العظيم. فذلك الرجل الذي يتعامل مع الدين كشيء ورثه أو سمعه من دون تعقّل وتدبّر، يرى أن الله تبارك وتعالى قد شرّع للزوجة الطاعة المطلقة والذل في البعد الجنسي، وهو بشهوته وجهله وسّع هذا البعد وأسْراه على الأبعاد الأخرى، وإذا بكل أبعاد المرأة تصبح في نظره عبارة عن ذلك البعد فقط.

البعد الإنساني

البعد الثالث والمهم هو البعد الشخصي أو الإنساني[١٨]، ذلك البعد الذي تتجسد فيه استقلالية المرأة عن الرجل بالصورة

---

(١٧) سورة النساء (٦٥)

(١٨) قد لا يكون هذا التعبير موفقا، خصوصا وأن القرآن الكريم لم يستعمله، ولا أظن أنه ورد في الأحاديث كذلك. بالإضافة إلى أن كلمة "الإنسانية" قد تلوّث معناها في الأذهان. لذا بحثت عن تعبير أفضل منه بحيث يكون أكثر انسجاما مع المتبينات الإسلامية، ولكني لم أعثر.

السليمة. فالمرأة في إنسانيتها نظيرة الرجل وتساويه تماما، إنها تفكر وتفهم وتعتقد وتسلك ومن ثم تحاسب في اليوم الآخر، بمعزل عن الرجل. وفي هذا يقول تعالى: "**لِلرِّجَالِ نَصِيب مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيب مِمَّا اكْتَسَبْنَ**"(١٩)، و"**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِل مِنْكُمْ مِنْ ذَكَر أَوْ أُنْثَى...**"(٢٠).

إن المرأة بلحاظ هذا الجانب تكون –حسب تعبير ذلك الفقيه العظيم– كالأجنبية عن زوجها(٢١)، لا يتعيّن عليها تجاهه أي حق عدا حق الأخوة الإيمانية الذي يربط بين عامة المؤمنين في المجتمع، فهي أخت له وهو يكون أخا لها، لذا يمكننا أن نعبّر عن هذا البعد ببعد المؤاخاة.

ومن المفترض في الزوج الصالح أن يتفهّم هذا البعد في المرأة، ويعلم أن زوجته ليست تحت سيطرته بشكل مطلق، وأنّ لها منطقة حرّة في شخصيتها لا تسري فيها سلطته، تستطيع أن تنطلق منها لتكون مثله بل أحسن منه. فقد تكون الزوجة أفضل فهما من زوجها، وقد تكون حركتها الإيمانية أقوى من حركته، وقد تُحشر في الجنة بدرجة أرفع من درجته... وكثيرات من النساء في العالم كن أفضل

(١٩) سورة النساء (٣٢)

(٢٠) سورة آل عمران (١٩٥)

(٢١) راجع هامش (١٣)

من أزواجهن، فزينب بنت أمير المؤمنين وبنت فاطمة عليها السلام هي قطعا كانت أفضل من زوجها عبد الله بن جعفر.

وقد ركز الإسلام على هذا البعد ودفع المرأة في اتجاهه، كما دفع الرجل ليعينها فيه. أما اليوم فلا عالَم صالح يركز على إنسانية المرأة، ولا زوج يعترف بحقها في الاستقلال عنه ويعينها عليه. فمثلا لو أنها رغبت في الاطّلاع والبحث، وأرادت أن تنشئ مكتبة خاصة بها في المنزل، فتقرأ وتكتب كما تشاء ولا تطْلع زوجها على ما تقوم به، فإن الزوج على الأكثر يتأذّى من ذلك ويستنكره.

ولا المرأة بدورها اهتمت بهذا البعد وركزت على ما ينمّيه لتجد فيه وجودها الحر المستقل، وإنما أعرضت عنه وبدلا عن ذلك راحت تبحث عن الحرية في مجال آخر ما كان لها أن تكون حرة فيه... ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

فاطمة عليها السلام في أبعادها الثلاث سيّدة النساء

جسّدت فاطمة عليها السلام كسيّدة النساء الأبعاد الثلاثة في حياتها تجسيدا كاملا. فلقد كانت في بعدها الأول استجابة مطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام وفق مقاييس الشرع(٢٢).

وكانت في بعدها المُساكني شريكة لأمير المؤمنين عليه السلام، تقاسمه العمل ولكن كلّ بساحته الخاصة به. ففي تلك الرواية عن أبي عبد الله عن أبيه عليهما السلام قال: "**تقاضى عليّ وفاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الخدمة، فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على عليّ ما خلفه. قال: فقالت فاطمة: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلاّ الله بإكفائي رسول الله صلى الله عليه وآله تحمّل رقاب الرجال**"(٢٣) إشارة إلى ذلك التقسيم الذي ترتضيه فاطمة عليها السلام وتتطلع إليه، لعلْمها أن مكوث المرأة في البيت واعتزالها الرجال هو ما يتناسب مع شأنها كامرأة. وقد كانت تركز على ذلك بقولها وتجسده بسلوكها، فينقل أن النبي صلى الله عليه وآله قال لها: "**أيّ شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل، فضمّها إليه وقال: ذُرِّيَّة بَعْضُهَا مِن بَعْض**"(٢٤)

---

(٢٢) يمكن القطع بصحة هذا القول وإن لم نجد روايات صريحة بهذا الشأن، ذلك أن من طبيعة هذا البعد أن لا يظهر.

(٢٣) قرب الإسناد، ص٥٢

(٢٤) مناقب آل أبي طالب (٣١٣/٣)

أما في الجانب الإنساني فقد كانت مثيلة أمير المؤمنين عليه السلام وكُفأه تماما، ولو لم يكن أمير المؤمنين لم يكن لها كفؤ. إن استجابتها المطلقة في جانب، وتحددها بحدود في جانب آخر، لم يمنعاها من أن تعتمد على نفسها، وتتصرف ككيان قائم بذاته. لقد كانت تفكر وتتبنى وتتحرك إلى الله من داخلها بشكل مستقل من دون أن يكون لأي إنسان تأثير عليها، حتى لو كان ذلك الإنسان أمير المؤمنين عليه السلام، وهو بطبيعة الحال كان يساعدها.

ولجانبها الإنساني هذا كانت تنال كل الاحترام والتقدير من قِبل أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ كان يحب فيها حركتها المنبثقة عن ذاتها كإنسان مسلم وجهه لله، وإلا فإن مجرد كونها ابنته لم يكن يستدعي كل ذلك الحب والاحترام حتى ينقل أنه كان صلى الله عليه وآله **إذا دخلت عليه قام لها من مجلسه وقبّل رأسها وأجلسها مجلسه**[٢٥]، وأنه كان يقول لها "**مرحبا بابنتي**"[٢٦] وكان يعاملها كما يعامل الإمام علي عليه السلام.

---

(٢٥) مناقب آل أبي طالب (٣٠٦/٣)

(٢٦) الأمالي للشيخ الطوسي ص٣٣٣. عن عائشة، "قالت: **أقبلت فاطمة** (عليها السلام) **تمشي، لا والله الذي لا إله إلّا هو ما مشيها تخرم من مشية رسول الله** (صلى الله عليه وآله)، **فلمّا رآها قال: مرحبا بابنتي، مرتين، قالت فاطمة** (عليها السلام): **فقال لي: أما ترضين أن تأتي يوم القيامة سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟**"

والإمام علي عليه السلام كذلك كان يكرمها في هذا الجانب ويتعامل معها على أن لها الحرية والاستقلال التام فيه. وفي الرواية المعتبرة التي تتحدث عن مصحف فاطمة عليها السلام ما يلقي ضوءا على هذا التعامل "... **إن الله تعالى لـمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفـاته من الحـزن ما لا يعلـمه إلا الله عزّ وجل فأرسل الله إليها ملكا يسلّي غمّها ويحدّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلّما سمع حتّى أثبت من ذلك مصحفا... ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون**"(٢٧). أي أن أمير المؤمنين عليه السلام قد صار في هذا الموضع كاتبها يكتب بخطه ما هي تمليه عليه.

وهي بدورها كانت ثابتة القدم قوية البأس، فما كانت تنتظر من زوجها أن يُدبّر لها شئونها، بل كانت تتعامل معه كزوج وشريك فقـط. هـذه الحقيـقة يمكن تلمّسـها بشـكل أوضـح بالتدقيـق في المرحلة الأخـيرة مـن حيـاتها الشريفـة بعد وفـاة رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ تنقل عنـها في تلك المرحـلة أحـداث تدمي القـلب، إلا أنهـا تحـمل دلالات واضحة على ذلك البعـد الهـام من شخصيـتها عليها

(٢٧) الكافي (١/٢٤٠) كتاب الحجة

السلام. من ذلك ما ينقل أنها حين حضرتها الوفاة قالت لأسماء بنت عميس: **"هاتي طيبي الذي أتطيّب به، وهاتي ثيابي التي أصلّي فيها، فتوضّأت ثم وضعت رأسها، فقالت لها: اجلسي عند رأسي فإذا جاء وقت الصلاة فأقيميني، فإن قمت وإلّا فأرسلي إلى عليّ..."**[٢٨]. إن هذا يعني أنها ما أخبرت أمير المؤمنين عليه السلام في هذه اللحظة الحرجة، وهذا يتطلّب قوة كبيرة يتعجّب المرء من أين حصلت عليها فاطمة عليها السلام وهي التي فقدت أباها من قريب والذي كان وقْع فقْده عليها بدرجة ذلك التعبير الذي ينقل عنها أنه صُبت عليها مصائب لو أنها صُبت على الأيام صرن لياليا[٢٩]...

ومن ذلك أيضا ما ينقل من أن أمير المؤمنين عليه السلام أجهش بالبكاء عند تغسيله لفاطمة عليها السلام، وحين استُنكر عليه بكاؤه بصوت عال قال إني رأيت أثرا لضربة على بدن فاطمة، وأبكي كيف أنها أخفت هذا الأثر عني! لو صح هذا الخبر، وإن وفاة فاطمة عليها السلام كانت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بخمسة وسبعين يوما على أقل التقادير، فإن فاطمة عليها السلام استطاعت أن تخفي عن أمير المؤمنين عليه السلام هذا الأمر طوال تلك المدة، متحملة ثقل المصيبة

(٢٨) كشف الغمة في معرفة الأئمة (١٢٢/٢)

(٢٩) مناقب آل أبي طالب (٢٠٧/١)

بمفردها من دون أن تلجأ إليه وهو أقرب الناس إليها. ربما تكون قد فعلت ذلك لأنها لم تشأ أن تثقل على أمير المؤمنين عليه السلام وتزيده همّا فوق همّه، لكن الحادثة نفسها تكشف عن شخصية قويّة مستقلة كانت تتمتع بها فاطمة عليها السلام.

هكذا تجلت الموازنة بين الأبعاد الثلاثة بشكلها الأمثل في فاطمة الزهراء عليها السلام، فجسدت صورة للمرأة كما يطرحها الإسلام. على أنه يجب عدم إغفال ضرورة وجود زوج صالح شهيد بجانب المرأة، كما كان الإمام علي عليه السلام بالنسبة لفاطمة عليها السلام. ذلك لأنني أرى –مستندا إلى اطلاعي على دراسات نفسية، ومشاهدة الواقع– أن المرأة بطبيعتها تتأثر بالرجل، بالإضافة إلى أنها لا تستطيع عمليا تحقيق هذه الموازنة إلا بمساعدة الرجل...

استـــدراك...

ليست فاطمة عليها السلام التجسيد الأمثل لصورة المرأة كما يطرحها الإسلام فحسب، بل إنها الاستجابة الطبيعية الصالحة لتطلّع المرأة لسيّدة لها. نعم، فالإسلام كما هو ناظر لأبعاد شخصية المرأة ومقرّ لها ما يحفظ موازناتها، ناظر كذلك إلى أنها بطبيعتها بحاجة إلى امرأة مثلها تتجه إليها نفسيّا وعالم نسائي خاص بها. فاستجاب هداية

لخلقة المرأة والتي تختلف عن خلقة الرجل إحساسيا وسلوكيا[٣٠] وبالتالي تشريعيا، فكان أن شرّع الفصل بين الرجال والنساء ولو أنهما منضويان تحت مظلة مجتمع واحد، وطرح فاطمة عليها السلام سيدة. هيأها رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته وركز عليها لتكون سيدة النساء، وأعلن هذه السيادة كما يُروى في عدة روايات وبصياغات مختلفة، فتارة يُذكر أنه صلى الله عليه وآله قال فاطمة سيدة نساء العالمين، وأخرى أنها سيدة نساء أهل الجنة، وثالثة أنها سيدة نساء هذه الأمة[٣١].

إن المرأة في قرارة نفسها كأنثى تحتاج إلى سيّدة ولا يكفيها سيّد، وهذا الشعور -حسب فهمي- متأصل في المرأة. صحيح أن الرجل يؤثر على المرأة بنظراته لها، بمدحه إياها... وإحساسيا هي بحاجة إليه لأن يشعرها بحبّه وحنانه وأن

(٣٠) لا أتعرض لإثبات هذا الاختلاف ببيان الفوارق التي توصّل إليها العلم الحديث بين مخ الرجل ومخ المرأة، وإنما يكفيني في هذا الرجوع إلى الواقع وإن كان هذا بحاجة إلى استقراء لإثباته علميا.

(٣١) راجع روايات بحار الأنوار ج٤٣، باب مناقبها وباب أحوالها عليها السلام. إنه لمن المؤسف أن التعامل الرائج الآن مع هذا النمط من الروايات هو تعامل فضائلي جدلي، أي أن هذه الروايات يتعامل معها كفضيلة من فضائل فاطمة عليها السلام يركز عليها للجدل مع المخالفين، لا كوصف لحركة واقعية مرتبطة بالحركة الإيمانية بحيث تتحول فيه هذه الروايات وأشباهها إلى مؤشرات ومعالم للهدى وهذا هو المفروض.

يُسمعها كلاما حلوا، بخلاف الرجل الذي يمكنه أن يستغني عن المرأة بمشاعره وأحاسيسه، ولكن هذا التأثر ليس تأثرا هدائيا. فالمرأة تتعامل مع الرجل كقيّم تنسق معه وتطيعه، وأساسا طبيعة المرأة طبيعة طيّعة منقادة للرجل، وقيمومة الرجل موجودة في ذاتها وإنما الشرع يهديها ويوجهها، أما الحركة الهدائية فهي ليست نتاج التأثير والانقياد بل هي حركة تطوعية واعية. فلو تطوعت المرأة وتحركت بكل وجودها إلى ربها هنالك تحتاج نفسيا إلى أمة نسائية، وتتطلع إلى فاطمة عليها السلام كسيدة تنتمي إليها[٣٢] وفي مسارها تلتقي بمريم وآسيا. ويكفي أن فاطمة عليها السلام هي كانت قرة عين رسول الله صلى الله عليه وآله، مضافا إلى أن مسيرة حياتها عليها السلام مما ترتبط به المرأة... هكذا تكون سيادة فاطمة للمرأة سيادة حقيقية، والارتباط بها

---

(٣٢) السيادة مثل الإمامة، فكل إنسان له سيّد في داخل نفسه، يستند إليه، يحتمي به، يشعر بالعز إذا كان معه. قد يكون هذا السند شخصا ذا مكانة اجتماعية رفيعة بحيث يشعر بالعز بالكون معه أو حتى بالاقتراب منه والحديث معه، فهذا يكون سيّده وإن لم يعترف بسيادته بلسانه. وقد يكون هذا السند عليّا أو فاطمة عليهما السلام يستند إليهما ليقوم لربه ويجاهد لدينه، فهذا يكون عليّ هو سيّده وإمامه وفاطمة هي سيّدته، وعلى هذا الأساس في بعض الروايات يُذكر أن الإمام لا يكون إماما لكل أحد رغم أن الله عزّ وجل جعله إماما لكل الناس، كما في رواية الكافي (٣٧٤/٨) عن الإمام الصادق عليه السلام: "...**يقولون: إمام، أما والله ما أنا بإمام إلا لمن أطاعني**...".

يكون تجسيدا لحركة إيمانية بحيث لا تستطيع المرأة المؤمنة أن تستغني عن فاطمة عليها السلام(٣٣).

(٣٣) هكذا يمكن فهم الروايات التي تتحدث عن سيادة فاطمة عليها السلام. فالسيادة ليست لقبا تشريفيا من قبيل (سماحة) أو (فضيلة) بل تعني شيئا واقعا ذا معنى لا يمكن لغير فاطمة عليها السلام تجسيده، ولا يمكن لفاطمة ذلك إلّا أن يتعامل معها النساء كذلك، إذ هي رابطة اثنينية، وبتعبير آخر من تحركت إلى فاطمة وجدت فاطمة سيدة وإلّا فلا، أي أن سيادة فاطمة عليها السلام سيادة تكتسب، فهي سيدة لمن يطلب، لمن يطرق بابا هي موجودة فيه، فتكون نهجا وصراطا وفي قمة الذين نقرأ في سورة الحمد "**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**". فهي من شأنها أن تكون سيدة نساء العالمين، ولكنها في الواقع الفعلي سيدة نساء المؤمنين، سيدة نساء أهل الجنة.

المسلمون في ظل إمامة رسول الله صلى الله عليه وآله

في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كانت إمامته قائمة[٣٤]، كانت فاطمة عليها السلام سيدة فعلية للنساء، وكان عليّ عليه السلام سيد الرجال، مما جعل صورة العلاقة الزوجية بينهما مُستهدفة من قِبل المسلمين بشكل عام، ومنعكسة بدرجة في بيوتهم.

فالرجل المؤمن كان يتعامل مع المرأة بشكل طبيعي ومن دون تصنع بطريقة تحفظ الموازنة بين أبعادها الثلاثة. كان يعلم أنها استجابة مطلقة له في البعد الجنسي، وأنها متحددة بحدود الله في تقسيم العمل بينهما في البعد المساكني، أما في بعدها الثالث فهي مستقلة عنه تماما. وهو بدوره كان يركز على البعد الثالث فيها، غير مكتف بالقول بل كذلك بسلوكه يحاول تنميته في زوجته حتى يجعلها تقف على قدميها. وهذا شكّل عونا كبيرا للمرأة إذ ما كانت ترى حياتها عبارة عن الجنس والبقاء في البيت فقط، وإنما كانت تنظر إلى الجانب الحرّ فيها وتصبّ جُلّ اهتمامها عليه... وعلى هذا الأساس لو راجع المرء التاريخ لتعجب حين يجد أن المسلمين كانوا ولمدة طويلة يتزوجون أكثر من امرأة وما

---

(٣٤) الإمامة القائمة هي الإمامة مبسوطة اليد، أي أنها تستطيع أن تفرض رغباتها ومتبنياتها على المجتمع. وبهذا المعنى تكون إمامة رسول الله صلى الله عليه وآله إمامة قائمة، وكذلك إمامة الإمام القائم عجل الله فرجه حين ظهوره الشريف. أما إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في فترة حكمه فلم تكن كذلك، إذ لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام مبسوط اليد (ينظر –مثلا– الكافي (٥/٥٥٦))، فضلا عن باقي الأئمة عليهم السلام.

كانت تترتب على ذلك مشاكل إلاّ نادرا، إذ لم يكن يحصل لدى المرأة إلاّ شيء من التأذي العاطفي...

الانحـراف العـقائدي

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وافتُقدت الإمامة الصالحة، انحرفت مقاييس المسلمين بالتدريج[٣٥]. فبعد أن كانوا في الصدر الأول من تاريخهم شـهداء الله على الخلـق وأئمة العالم، أمسوا -بشكل عام- تبعا للعالم الكـافر بالله في سلوكـهم، بل في رغباتهم وحتى معتـقداتهم، بمـعنى أنهم قد تـأثروا في معتـقداتهم أيضا بالضّالين... إلى أن وصل الأمر إلى الآن حيث يكاد المرء لا يجد فرقا بين من يسمّون أنفسهم مسلمين وبين غيرهم، إلّا في بعض الطقوس والتقاليد التي لا يخلو عنها مجتمع مهما كان ذليلا مهانا في عالم اليـوم.

هـذا الانحـراف العقائدي كان له أثره على قضـايا المـرأة، فالثقل الأكبر لهذه المسيرة الانحرافية تجـسد في المرأة باعـتبارها الواجهة الرئيسية للمجتـمع الصـالح وغير الصـالح. وتشـوهت الصـورة التي طرحها الإسلام للمرأة، وانعكس هذا سلـبا في تعامل الرجل معـها. وللتركيز على هذا الانحراف أشير بدايـة إلى العالم الكافر بالله فأقـول:

---

(٣٥) لقد حاول أمير المؤمنين عليه السلام في عهد خلافته أن يعيد الأمر إلى ما كان عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نجح في ذلك بدرجة، إلّا أن الانحراف العام ظل مستمرا.

فلسفة العـالم الكافــر

لكل أناس أفكار وعقائد أو فلسفة خاصة بهم، يعتقدونها ويتدينون بها، وعلى ضوئها تتحدد أهدافهم وغاياتهم، وعلى أساس من هذه الغايات ينطلقون في الجانب العملي ليشرّعوا تشريعات ويضعوا برامج عملية تحقق لهم ما يريدون، ثم وفق هذا التشريع ينتج السلوك.

كذلك هو العالم الكافر بالله، يتديّن في المستوى العقائدي الفكري بفلسفة تتبنى اتباع الهوى والشهوات، وتجعل من **تحقيق أكبر قدر من الراحة واللذة والرفاهية في الدنيا كأبعاد رئيسية لشهوات الإنسان** غاية وهدفا لها. وهذا أمر طبيعي، فمن لا تنبني عقيدته على أساس الإيمان بالله ووجود الآخرة[٣٦] لا يكون لديه مقياس فوقي، فلا شيء أكبر منه ومن شهواته، ولا ينظر إلى أبعد من هذه الدنيا، فالدنيا هي الأول والآخر، والإنسان يولد ومع الموت ينتهي.

انطلاقا من هذه الفلسفة وُضع التشريع وجُسّد في مرحلة السلوك، فأُفسح المجال للإنسان للبحث عن حياة أفضل، والتي تعني

(٣٦) قد يوجد بمستوى الأفراد أناس يؤمنون بالآخرة، لكن اتجاه الفلسفة المبنية على أساسها الحياة لا يؤمن بالآخرة. حتى تلك النظريات التي تدّعي تحضير الأرواح مثلا والتي تشير إلى الاعتقاد ببقاء الأرواح بعد الموت، يقبل الإيمان بها بشرط أن لا تتدخل في الفلسفة التي تنبني عليها التشريعات ومن ثم تترتب عليها السلوكيات والتعامل الخارجي.

بمنظورهم حياة ألذ وأترف، فكل ما يساهم في ترفيه الحياة يصبح جيدا، وكل ما يحقق اللذة يكون مرغوبا به، فلو افترضنا أن تحقيق اللذة يتطلب أن يرى الإنسان كل يوم شيئا جديدا ليلتهي به، فُتح هذا الباب وحُث على اختراع الجديد دائما.

ولا أظنني بحاجة إلى استدلال على أن الإنسان متى ما رام أمرا أو ابتغى غاية حصلت في نفسه روح التنافس والمسارعة نحوها، لا يختلف الأمر بصلاح الغاية وفسادها. ومتى طابقت الغاية متبنيات أئمة عالم ذاك الزمان، كان أفضل الناس أقربهم من المبتغى. ولأن الإمامة صارت بيد العالم الكافر، وبناء على هذه الفلسفة، كان أفضل الناس أقربهم إلى الرفاه واللذة، وأفضل مجتمع هو الذي يملك أكبر قدر منهما. فالرفاه واللذة أمران مستهدفان في تلك الشريعة، ومن الطبيعي إذن حصول حالة المسارعة والمدافعة في هذا الاتجاه، إذ لا بد للإنسان من أن يؤخر أناسا ليقترب هو من الهدف. ونتيجة لهذا برز منطق الأقوى، فالأقوى طلبه لتلك الغاية يكون أشد، والأقوى أقدر على التحصيل وأسرع في الوصول، وفي ظل فلسفة كهذه صارت القوة صانعة الحق، وليس هنالك حق يعلو على الإنسان وشهواته.

منطق الأقوى هو الأفضل

إن هذا المنطق هو ثمرة طبيعية لذلك البناء، ولكنهم في كثير من الأحيان لا يصرّحون به، يخادعون أنفسهم ويخدعون غيرهم. بَيْد أنه

بين حين وآخر تظهر نظريات تطرحه بشكل سافر، كنظرية "داروين" في العلوم الطبيعية مثلا، فهو هناك يصرح بأن العالم عبارة عن ميدان للصراع وأن البقاء للأقوى، ونظرية "نيتشه" الفيلسوف الألماني المعروف، الذي كان يعتز بالقوة ويحتقر الضعف، ويحترم القسوة ويستخف بالرحمة، ويدعو إلى قهر الآخر. إضافة إلى نظريات أخرى هنا وهناك.

وحتى لو تجاهلنا تلك النظريات، ففي الحقل العملي ومن خلال الممارسات اليومية للأفراد يتجّلى هذا المنطق بشكل لا يقبل الإنكار، كمثال للتوضيح فقط وإلّا فإن الشواهد من واقع الحياة أكثر من أن يحصيها حديث، ما لو تصارع شخصان على مرأى ومسمع من الناس، كما يحدث في حلبات المصارعة مثلا[٣٧]، فكل منهما يضرب الآخر ويدميه، والأقوى من يتمكن من صاحبه ويطرحه أرضا، وحالَ أن يفعل ذلك يأتيه ثالث ليرفع يديه ويبدأ الناس بالتصفيق له. إنها القوة التي يمتلكها أعطته الحق في الالتذاذ بتصفيق الناس وإعجابهم أو التمتع بالجائزة التي تُمنح للفائز. أما لو رغب في التنازل عن حقه في الضرب باعتبار أنه يتأذى أخلاقيا من ضرب

(٣٧) أنا لا أريد أن أنتقد المصارعة، فإني أجلّكم وأجلّ نفسي عن الحديث عما لا يسمن ولا يغني من جوع، وإنما أصف الوضع في العالم، ووجدت في هذا مثالا سافرا له.

الآخرين، ففعله سيقابل بالاستهزاء والازدراء بدلا من التصفيق والإطراء، فلا موضع للتنازل في هذا البناء المتماسك المترابط.

إلّا أنه ليس من الضروري أن يظهر هذا المنطق دائما بصورة ضرب وإدماء، بل قد يلجأ المرء إلى أسلوب آخر للمغالبة وهو أسلوب المكر والخداع، فيتعامل مع الطرف المقابل برفق ولين حتى ينتزع منه ما يريد لنفسه، ثم يلتذ بما حصّله(٣٨).

ولقد أفرزت هذه الفلسفة العديد من المشاكل في مرحلة التطبيق، ذلك أن الناس متفاوتون بين قويّ وضعيف، وتحت كل منهما تندرج مراتب مختلفة للضعف والقوة، وتنظيم العلاقة بينهم على أساس الفلسفة المطروحة أبرز القوي وسانده ولم يرْع للضعيف حقا، فكان من الطبيعي أن شعر قطاع كبير من الناس بالظلم والجور. ضمن هؤلاء كانت المرأة والتي هي محور حديثنا هذا، فكونها مخلوقة ضعيفة من جهة، وشديدة الالتصاق بالرجل من جهة أخرى جعل لها قابلية كبيرة للاستضعاف من قِبل الرجل.

(٣٨) قد يوجد أفراد هنا وهناك لا يبحثون عن مصالحهم الشخصية، لكن هؤلاء استثناء من النمط العام، فالقاعدة العامة تتبنى أن أفضل الناس أكثرهم حرصا على مصالحه، لا أكثرهم إيثارا للغير على نفسه.

تـأثُّـر العـالم الإسـلامي

يعاني العالم الكافر من مشاكل بخصوص المرأة نتيجة فلسفته الكـافرة وما استتبعت تلك الفلسـفة من تشـريعات وسلوكيـات، أما العالم الإسلامي فيعاني ما يعـانيه ذلك العالم نتيـجة مسايرته له[٣٩].

---

(٣٩) بالإضافة إلى ذلك فإن العالم الإسلامي يعاني من مشاكل ناجمة عن تصادم الواقـع مع ما لا يزال موجـودا في الأذهان كمفاهيم دينـية أو كعادات وتقاليد وأعراف. كما قد يصـطدم مع الفقه وإن كانت هنالك محاولات لعـلاج هذه المشكلة بطريقيْن: الأول هو التوفيـق بينه وبين الواقع المفروض، ولعلّ من أوضـح الشواهد على هذا مسألة لباس المرأة، والتي أُخضعت للبحث بصـورة مستفيضة، وكان مـدار النـقاش هو: هل الإسلام يتبنى حجاب المرأة (بمعنى احتجابها عن الرجال) أو سترها فقـط. فلو كان الإسـلام يدعـو إلى حـجاب المرأة ففـيه ظلـم لها حسـب المقـاييس العالمية، لأنه يعني إبعادها عن عالم الرجال، الأمر الذي يرفضـه العالم رفـضا بـاتـّا. أما لو كان الإسلام يطلب ستر المرأة، فإنه لا يتجاوز حدود اللباس فقط، الأمـر الذي وجـد فيه كثـير من المفكرين والمهتمـين بالدين مجالا جيدا للتوفيـق بين الشـرع وبين المقاييس المعايَشة. فبدأوا يركزون على أن الإسلام لا يمنع خروج المرأة، بشرط أن تراعي بعض القواعـد الشرعيـة كأن لا يحصل اختلاط فردي إذا كان هنالك شبـهة، وأن تغطي بدنها وشعرها، أما تغطية الوجه فمسألة خلافية... إن هـذه الصورة يقبلها العالم لأنه ليس فيـها ما يتعارض مع مقاييسه، فهو مجرد ستر كيفما كـان. وعلى هذا الأساس حتى المرأة الكافرة يمكنها أن تلبس هذا اللباس ويُقبل وضعها. بل أني أذكر أن أحـد الأشـخاص البـارزين في السـاحة الإسلامـية كان قد برّر سـلامة تشـريع ستر الشـعر في الإسـلام بما كانت تعمله رئيـسة وزراء الهند رغـم كونها امرأة كافرة. إلّا أن هذا المقـدار من الستر هو الآخر لم يعد مقبـولا لا بما أنه غـطاء للرأس فقط، بل لأنه يعكس أكثر من ذلك...>>

<< والطريق الثاني هو محاولة تضييق نطاق الفقه قدر الإمكان، حتى غدا الفقه لا يتعدّى كونه عبارة عن مجموعة من المسائل الشرعية المجـزّأة. وهذا ما يمكن للمرء ملاحظته بمراجعة الرسائل العملية والمقارنة بينها وبين التعامل الواقعي مع تلك المسائل. فمثلا يذكر الفقيه في الرسالة العملية أنه يجوز للرجل الزواج من أربع نساء، وقد يرى استحباب التعدد فيطرحه من دون أيّ تحـرّز، كما فعله السيد اليزدي في "العروة الوثقى"، ويذكر أيضا أن بإمكان الرجل التمتع بأيّ عدد شاء من النساء من دون حصر. وفي مورد حقوق الزوجين يذكر من دون الشعور بأي حرج أنه لا يحق للمرأة أن يبيت معها زوجها إلّا ليلة من أربع ليال، ولا يحق لها أن يُعاشرها إلّا مرّة كل أربعة أشهر، ومسائل أخرى من هذا القبيل هذا التعامل الحر مع المسائل الشرعية كان ولا يزال سمة بارزة من سمات الفقهاء رضوان الله تعالى عليهم، وهو نتيجة عوامل مختلفة أبقت على حرية الحوزات الدينية إلى الآن. لكن لو أراد المرء أن يُكوّن من هذه المسائل صورة للمرأة المسلمة في ذهنه، ذلك الذهن المـليء بالتصورات المختلفة والمبتنية على مقاييس كافرة وهي مقاييس الواقع الذي يعيشه، فإنه سيقع في تناقض. وهذا ليس أمرا نظريا، بل إنه من الأمور القابلة للاستـقراء. لاحظ مثلا، هنالك عدد من الرجـال يتزوجون أكثر من واحدة، وعملهم هذا مقبـول كمسألة شرعية، ولكن هل هو مقبول كممارسة عملية؟ بإمكان المرء أن يخمّن بناء على خلفيته الذهنية أنه قلّ من يوجد بين المؤمنين أنفسهم من يرى هذا العمل عملا جيدا، أو على أقل التقادير يراه مباحا كأكل الطعام أو المشي مثلا، بل حتى الفقيه لو سُئل عن رأيه في ممارسة تعدد الزوجات فقد لا يشعر بنفس الحرية التي كان يشعر بها وهو يكتب المسألة كرأي فقهي.

إن هذا يعني أن النفوس لا تستطيع التعامل مع الإسلام كعقيدة، فلذلك تقوم بتجزئة المسائل الفقهية إلى قِطَع لا ترتبط إحداها بالأخرى بحيث يمكن بعد ذلك إقصاؤها عن ساحة الحياة، وتجميدها في ركن محدود يُطلق عليه اسم "الفقه". أما أن تستنبط من مجموعها صورة تُتبنّى وتُعايش، فهذا غير واقعي حسب تفكير أغلب الناس.

فالعالم الكافر لا يريد لفلسفته أن تبقى في نطاقه هو فقط، لذلك كان يتقصد إذابة الحواجز بين شتّى العوالم –على فرض وجود اختلاف بين العوالم– حتى يمكنه تمرير فلسفته وتشريعه وبالتالي مشاكله إلى العالم أجمع(٤٠). وهذا هو عين ما يجري الآن، فهم أئمة العالم، وكل شيء في العالم يجسّد فلسفتهم.

التعامل مع الحقوق الشرعية بذهنية كافرة

والمسلمون اليوم بشكل عام، لأنهم تربّوا على المفاهيم العالمية لا المفاهيم الإسلامية وعايشوها في حياتهم العامة، انصبغوا بها وأصبحوا يتعاملون مع الحقوق الفقهية التي شرعها الإسلام وفق الفلسفة العالمية ويأخذونها بمفتاحها.

فالشريعة الإسلامية حين أعطت –على سبيل المثال– للزوج الحق في أن يمنع زوجته من الخروج من البيت متى شاء، فهذا الحق في واقعه للمرأة وإن بدا في ظاهره حقا للرجل، إذ أن من حق المرأة أن تجد من يهتم بها ويرعى شئونها. وهذا ما حمّله الله الرجل بما أعطاه من قدرة جسدية، فالمرأة تكوينيا أضعف من الرجل. إضافة إلى ذلك فبحكم كونها مؤمنة فإنها من المفترض أن تكون مقِرّة في بيتها، أي

(٤٠) غير أنه من الخطأ أن نركز على أن المشكلة موجودة بشكلها المعمق في العالم الكافر، وأن نتوقع تفاقم المشاكل هناك، إذ أنه يوجد هنالك تناسب وتوازن بدرجة كبيرة بين السلوك وبين الفلسفة المتبناة وبين التشريع.

أنها لا تبصر المجتمع وليست لديها دراية كافية بما يحدث فيه، فمن الطبيعي أن تكون كذلك أضعف من الرجل في ذكائها الاجتماعي، فالذكاء الاجتماعي هو حصيلة تجارب اجتماعية، والرجل نتيجة احتكاكه الأشد بالمجتمع يتفوق على المرأة فيه، لذا قد يمنع زوجته من الخروج خدمة لها وحفاظا عليها لأنه يرى ما لا تراه ويحذر ما قد تغفل عنه، وهذا في نفسه مسئولية ألقاها الشارع على عاتق الرجل.

أما الآن، فيتعامل الرجل مع هذا الحق كأن الله أعطاه إياه حبا وإكراما له لكونه رجلا، "**فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ**"(٤١)، وأنه يستحقه لأنه هو القوي القادر، وقوته تعطيه الحق في أن يستغل هذا الحق الشرعي في إرضاء شهواته ورغباته، وإثبات شخصيته ووجوده، تماما وفق النظرة العالمية التي تستمد مبادئها من فلسفة ملحدة لا تؤمن بالله واليوم الآخر.

ولأن الحق الشرعي لم يؤخذ من أبوابه الصحيحة، اختلّت كل الموازنات المترتبة عليه. فلم تعد المرأة تنظر إلى أنه شُرّع لخدمتها، بل على النقيض تماما هي تشعر بأنها قد ظُلمت به، فللرجل أن ينهاها عن الخروج من البيت وهو يخرج كما يشاء، وإن سألت فقيها أكّد لها مشروعية عمله كزوج. ثم إنها لا ترى أنه يتعامل مع هذا الحق

(٤١) سورة الفجر (١٥)

بمنطق العبادة والتواضع والخشوع لله تبارك وتعالى وإنما بذهنية (الجبار المشتهي) مستغلا إياه لمصلحته أو لفرض شخصيته، فيمنعها كغالب قوي أو يأذن لها كذلك. كل هذا يرسخ في نفسها الشعور بالمظلومية وأن الله فعلا مع القوي، خاصة وأن العالَم لا يعطيه هذا الحق لكن الإسلام أعطاه إياه، وفي الحقيقة إنما هو اقتطعه من شجرة الإسلام وأضافه إلى الفلسفة الكافرة التي يتصرف على أساسها ولو لا يعترف بها بلسانه.

كما يجب ملاحظة أن المرأة كذلك تعيش الفلسفة الإلحادية العالمية فيما تسمعه وتقرؤه وتراه، وقد ترسبت في نفسها وذهنها، وأنتجت لها هي أيضا تصورات وتوقعات متوافقة مع ما تعايشه، الأمر الذي يزيد المرأة معاناة والمسألة تعقيدا...

أثر هذا التعامل على المرأة

من الطبيعي أن تشعر المرأة نتيجة هذا التعامل معها بأنها الطرف المغلوب، وينعكس هذا الشعور عليها بأحد مظهرين:

المظهر الأول أن تشعر في داخلها بأنها ذليلة لا تسوى شيئا، وضعيفة لا تقوى على شيء، فتستسلم لتلك الفلسفة وتفقد كل شخصيتها، ويكون ارتباطها بزوجها ارتباط الطفيلي بمن يعيله، فهي لا تجد لنفسها وجودا وقيمة إلّا بالتمسك به. فغيابه عن البيت أو

تأخّـره يقلقها حتى أنه قد يفقدها القدرة على النوم، وخروجه من دون إخـبارها أو نـوْمه خـارج البيت بلا علمها يؤذيها، بل لو قـرّر السـفر مثلا ترى أن عليه اصطحابها معه رغم أن هذا ليس من حقها شرعا، كالطفل الصغير الذي ينـسق مع أمّـه بشكل كامل بحيث لا يستطيع الابتعاد عنها.

وبملاحظة المجتمع تجد أن هذا المظهر شائع لدرجة أنه يشكّل ظاهرة عامة، لكن يجب الالتفات إلى أمرين، أولهما: أن لا يُلقى باللائمة على المرأة ويخلى سبيل الرجل وكأنه لم يفعل شيئا، فلقد ساهم الرجل بدرجة كبيرة في نشـوء هذه الظاهرة نتيجة تحديده للمرأة وتدقيقه في حياتها، حتى صار لدى المرأة كذلك قناعة بأنه لا يمكنها الاستغناء عن الرجل ولو لبعض الوقت.

وثانيهما: أن شيوع هذا المظهر يشير إلى أن المرأة اليوم لا تشعر بشخصـية مستقلة لها، وإلّا لو كان للمرأة كيانها المستقل كما يدّعون لبحثت عن مُتنـفس لحريتها بعيدا عن زوجها، ولاستغلّت فرصة ابتعاده عنها لتركّز على ما يُنمّي شخصيتها بمعزل عنه. بل وإن المرأة ونتيجة لذوبان شخصيـتها حصل عندها تصور أن عليها أن تكون طاعة مطلقة للزوج، وهذا مؤشر آخر على عدم استقلاليتها، إذ لا يمكن لإنسان أن يصبح طاعة مطلقة إلّا إذا لم تكن لديه شخصية مستقلة، فالمرأة لا تطـيع الزوج في الطبخ والغسل والتنظيف... فقط بل تطيـعه

في كل شيء على الأغلب، حتى في إنسانيتها تطيعه، فتقرأ الكتاب الذي هو يصفه لها، وتسمع الحديث الذي هو يطرحه لها، وتذهب إلى المسجد الذي يمدحه لها، وتقلّد المرجع الذي هو يقلّده، حتى أنها من الممكن أن لا تعرف مقلَّد زوجها ولكنها بتبعه تقلّده(٤٢). هكذا وصل الأمر بالمرأة إلى درجة أنها لا تستطيع أن تتصرف أي تصرف بمعزل عن زوجها، وهو يعتقد أنه قد أحسن صنعا إذ استطاع أن يحفظ زوجته!

والمظهر الثاني هو مظهر ملتو، فالمرأة هنا لا تستسلم ولا تتنازل عن شخصيتها، وإنما تتصرف تصرفات خادعة لإظهار استقلالها الكاذب، فتتصدّى لتثبت أنها قوية ومستقلة ولو لنفسها على أقل التقادير. إلّا أن المسائل تختلط عليها وتتشوه فتأخذ مسألة موقع الأخرى، وإذا بها تُمانع وتتصّدى لزوجها حتى في مسائل الجنس التي يجب أن تكون فيها طيّعة له، إضافة إلى تصدّيها في مسائل أخرى، وهنا تحصل المشادّات بين الزوجين.

وقد يظهر المظهران معا في سلوكها، أي أنها تستسلم تارة وتتصدّى أخرى.

---

(٤٢) أذكر أن إحداهن سألتني مسألة شرعية، فسألتها من تقلِّدين، قالت: زوجي ليس موجودا حتى أسأله من نقلّد! ربما غيرها تعرف من تقلّد، لكنها على الأكثر تقلد من يقلده زوجها.

الإسلام والكفر عقيدتان متباينتان

إن الشريعة الإسلامية حين أقرّت لشخص حقوقا وألزمت الآخر بواجبات، ركّزت على بُعد آخر للتشريع وهو البعد العقائدي. ففي البعد العقائدي للحقوق يتبنى الإسلام أن أفضل الناس ليس أكثرهم استيفاء لحقوقه الدنيوية، بل أفضلهم أشدهم إيثارا وتنازلا عنها، والقرآن يمدح أناسا بأنهم آثروا غيرهم على أنفسهم، يقول الله تعالى **"وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَة وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"**(٤٣). ولو دار الأمر بين أن يُظلم المرء حقه(٤٤) أو يَظلم الآخرين حقوقهم، فالإسلام يدعوه أن يكون مظلوما لا ظالما(٤٥). بل

---

(٤٣) سورة الحشر (٩)

(٤٤) الظلم الذي يدور حوله الحديث هنا والذي يركز الإسلام على الصبر عليه وغض الطرف عنه هو الظلم الشخصي، وإلّا ففيما يتعلق بالدين فيجب أن تكون المبدئية واضحة في مواقف الإنسان المؤمن عامّة.

(٤٥) إن هذه الدعوة هي من محكمات الإسلام، وفي رواية الكافي (١٠٧/٢) المعتبرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في خطبته: **ألا أُخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟ العفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك.** وروى نهج البلاغة الكتاب ٢٨ (في جواب أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية) ...**وقُلتَ: إني كنتُ أُقادُ كما يُقادُ الجمل المخشوش حتى أُبايع، ولَعَمْرُ الله لقد أردتَ أن تذمّ فمدحت، وأن تَفضح فافتَضَحْت! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه، ولا مُرتابا بيقينه!...**

إنه يذهب إلى أبعد من ذلك، فهو يرى أن الحق وإن غُصب فالأفضل للمرء باعتباره مؤمنا الصبر على هذه الظُلامة والعفو عمّن ظلمه كالذي يُروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:"**كانت امرأة عند أبي عليه السلام تؤذيه فيغفر لها**"(٤٦) مع الالتفات إلى أن من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن لا يؤذيه. فالمؤمن مدعو للصبر إلّا أن يترتب على صبره استهتار الظالم(٤٧). كما أن الإسلام يدفع في اتجاه أن الحقوق تُعطى ولا تُؤخذ إلّا نادرا، فهو لا يقول لصاحب الحق خذ حقك وإنما يقول للذي عليه الحق أدّ حق صاحبك.

هكذا يكون الأمر فيما يتعلق بالحقوق بين الزوجين كذلك، فالمؤمن رجلا كان أو امرأة ينبغي عليه أن يعكس هذه العقيدة في حياته عامّة.

فمن الحقوق التي شرعها الإسلام للمرأة على زوجها حق النفقة(٤٨) ولها أن تأخذه منه بتمامه، ولكنها إن اعتقدت الإسلام

---

(٤٦) فروع الكافي (٥/٥١١) كتاب النكاح

(٤٧) هذا إن وقع الظلم عليه هو، أما لو وقع على أحد المؤمنين فلا مجال للصبر عليه، وإنما على المؤمن أن يدافع عن أخيه المؤمن المظلوم.

(٤٨) النفقة عبارة عن مسكن متناسب مع شئون المرأة ومع إمكانيات الزوج، فلو كانت تسكن في بيت أهلها بطريقة معينة وزوجها قادر على توفيره لها، فمن حقها أن تطالبه به، وكذلك شأن الطعام واللباس. بالإضافة إلى تهيئة العلاج الضروري لها، لا الكمالي الزائد عن الحاجة.

دعوة ومسارا رغبت إلى التنازل عنه بإرادتها واكتفت بأقل ما تحتاجه من مطعم وملبس ومسكن، وآثرت زوجها على نفسها. بل إن المرأة لَتبلُغ درجة تعفو فيها عن زوجها إن أنكر عليها هذا الحق أو رفض إعطاءها إياه رغم أن لها حق مقاضاته لتحصل عليه، مجسّدة بذلك دعوة الإسلام إلى العفو والتنازل.

أما من جانب الرجل والذي عليه أداء الحق، فالإسلام يركز عليه ويوجّه خطابه إليه ليؤدي ما عليه للمرأة ولا يبخس من حقها شيئا، بل ويغلظ عليه بالقول ويشدّد لأن لا يظلمها حتى إن كان بمقدوره أن يماكرها لِيغلبها حقها.

هذا فيما يتعلق بالحقوق الواجبة، أما في الأمور التي لم يشرَّع فيها حق لأحد الأطراف، كطبخ الزوجة الطعام لزوجها أو غسلها لملابسه أو... فالإسلام يُعْلِم الرجل أن هذه ليست من حقه، ويبيّن للمرأة أنها ليست من واجبها، ولكنه -بعقيدته لا بفقهه- يدعوها إلى أن تتطوع لخدمة زوجها وأن تحتسب هذه الخدمة عند الله "**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**"(٤٩)، وإن هي فعلت فهذا مؤشر إلى أنها إنسان حرّ يملك نفسه، فالتطوع أهم مظهر من مظاهر حرية الإنسان وشخصيته، ولا يتطوع إلا من كان حرا.

(٤٩) سورة آل عمران (١٣٣)

وبنفس المنطق يبين الإسلام للمرأة أنه ليس من حقها على زوجها مُبايتتها إلا ليلة من أربع، وليس عليه مجالستها أو اصطحابها خارج البيت للتنزه أو حتى لحجّها الواجب، ثم يوجّه الخطاب[٥٠] للرجل أن هذا وإن لم يكن من حقها عليك ولكن الأفضل لك كمؤمن يرغب في التقرب من الله أن تعاشرها بالمعروف مقتديا بهدي نبيّك صلى الله عليه وآله الذي يُروى عنه قوله "**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**"[٥١]. هكذا يُتعامل مع الحقوق بمنطق الإسلام ووفق مبادئه.

أما لو نظر المرء إلى هذه الأمور من زاوية الشريعة الكافرة السائدة الآن لتغيرت الصورة، إذ أن هذه الشريعة إنما تتجه لحث الأقوى على انتزاع أكثر ما يستطيع من الطرف المقابل. فَعِلْم الرجل بأن ليس من حقه على زوجته أن تطبخ وتغسل له هو من باب العلم بالشيء فقط، أما كحركة ومتبنّى فإنه لو وجد طريقا لإجبارها على خدمته فإن تلك الشريعة تدعوه ليفعل، فالالتذاذ بالدنيا لا يتيسّر إلّا لأصحاب الدهاء الذين يستطيعون استيفاء حقوقهم وانتزاع حقوق الغير كذلك. ولو استفتى الرجل في أنّ بإمكانه مخادعة زوجته وغصبها حقها، فهل يفعل

(٥٠) التعبير بأن الإسلام (يخاطب) أو (يقول) إنما يعني أن مضمون الشريعة يدعو إلى هذا، وإلّا فلا يوجد في الإسلام نص بهذا الشكل.

(٥١) وسائل الشيعة (١٧١/٢٠)

ذلك أم يتطوع ويعطيها إياه؟ فإن الشريعة الكافرة –لولا تناقض نفسها– تدعوه للإمساك ما دام لا يوجد من يجبره على العطاء، لأن الأمر متعلق بمصلحته الشخصية وتلك الشريعة لا تؤمن بشيء أعلى من مصلحة الإنسان الشخصية(٥٢)، أو على أفضل التقادير تلتزم الصمت. وكذلك فيما يتعلق بالمبيت ومجالسة الزوجة و....، فهي تلفت نظره إلى أن لك حقا هنا فلا تتركه، بل استغِلّه واستفِد من حريتك لتفعل ما بدا لك.

ونفس الدعوة تحملها للمرأة، فمن جانب النفقة تحثها الشريعة الكافرة على استيفاء حقها من الرجل ومطالبته بالنفقة على أكمل وجه، وأن لا تتنازل ولو قليلا عن حقها. ومن جانب الخدمة تُركز عليها لأن لا تتطوع لخدمة زوجها، فالأعمال المنزلية كالطبخ والغسل والتنظيف ليست من واجبها، فلا يستغفلنّها الرجل ويدفعها لفعل شيء منها. وهكذا تصبح المرأة مُستنفرة حذرة من أن يظلمها الرجل أو ينتقص من حقها، فلا موضع للإيثار ولا تَبنّي للعفو، وهذه الشجرة أساسا لا تثمر إيثارا وعفوا، ولو وُجد شيء منهما فهو من خارج تلك الشجرة.

إن العاقل المتدبر ليجد أن عقيدة الكفر العالمية تصطدم

(٥٢) الإنسان المؤمن أيضا ينطلق من مصلحته الشخصية، لكن مصلحته هي تلك الموجودة عند الله والتي لا تتأتّى إلا بمرضاته عزّ وجلّ.

مـع عقيـدة الإسلام الصحـيحة، فهما يـطرحان منطـقين متـضادين[٥٣]. أحـدهما يدعـو لاستيـفاء الحقوق وانتزاع المـزيد، والثاني يدعو للإيثار والتنازل وللعفو والغفران.

تعامل الإنسان المؤمن مع الحقوق

يُنقل عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "...**لمـّا نزلت هذه الآية "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارا" جلس رجل من المسلمين يبكي وقال: أنا عجزت عن نفسي كُلِّفت أهلي**..."[٥٤]، هكذا ينظر المؤمن إلى علاقته مع زوجته. فمن كان مؤمنا بالله وباليـوم الآخر يعـلم أن الله لم يخلـقه عبـثا، ويعلم أن الله لم يعْـطه هذه الحقوق حبّا له وكرامة، ولا لإثبات وجوده وقوته تجاه المرأة. نعم، هي أُعطيت له لأنه الأقوى والأقدر، ولكن لا إعظاما للقوة وإكراما للقوي، بل تحميلا له للمسئولية ولدور لا يتأدّى إلّا بأن يكون له ذلك الحق، ليمْكنه خدمة المرأة، وذلك كحق الولاية على الأولاد، فالرجل يشعر بأنه قيّم على المرأة لا أنه أفضل من المرأة، وقيمومته عليها

---

(٥٣) لو نظر المرء إلى كلتا العقيدتين بشكل مترابط كشجرتين لهما جذور وفروع لَلَمس التصادم بينها بشكل لا يقبل الجدال، لكني في هذا الحديث تطرّقت إلى بُعد واحد وهو بُعد الحقوق، ذلك أن بحث كل أبعاد العقيدتين بحثا شاملا في حديث واحد ليس متيسرا لي، ولا أظنه متيسرا لأحد.

(٥٤) فروع الكافي (٦٢/٥) كتاب الجهاد

لخدمتها كما ولايته على أولاده لخدمتهم. فإذا اعتقدت المرأة بهذا المبدأ ويجب أن تعتقد، وإذا اعتقد الرجل به وهو المفروض، وجسّده في سلوكه، فالمرأة إذن لا تشعر بأنها مظلومة وأن الأمر هو المغالبة.

وحتى يتجسّد هذا واقعا يجب أن يكون الرجل عالما بنظرة الإسلام الصحيحة للمرأة ويتعامل على أساسها(٥٥). فيكون مدركا أنه لا يملك من زوجته إلّا بُضْعَها، جانبها الجنسي فقط. ويكون ملتفتا إلى محدوديتها في المجالات الاجتماعية لكونها أنثى، وعلى هذا الأساس يضع نفسه في خدمتها مستعينا بالحقوق التي أوجبها الله له. أما في بعدها الإنساني والفكري والذي هو البعد الرئيسي من شخصيتها فيكون معتقدا أنها مثله تماما تتحرك إلى الله بحركة مستقلة عنه بل ومن خلاله تقترب من الله، فهو يعلم أنه لا يمكنه أن يحجبها جبرا ويحددها جبرا ثم هي تدخل الجنة وإنما هي تدخلها برؤيتها وبنورها.

ولذلك هو يكون منتبها حين يستخدم حقا من حقوقه كحقه في منعها من الخروج من البيت مثلا أن هذا المنع يجب أن لا يؤثر على شعورها بالعز باعتبارها مؤمنة والمؤمن عزيز فيشملها قول الله عز وجل

---

(٥٥) قد يكون معنى (فإن خفتم ألا تعدلوا) في الآية الكريمة (٣) من سورة النساء **"فانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىَ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَة"**، أي إن خفتم أن لا تضعوا الأشياء في مواضعها، فلا يعامل تلك المرأة التي ملك زمامها بعدل، وبالتدريج يظلمها ويستضعفها.

"...**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...**"[٥٦]، ذلك العزّ النابع عن الإيمان والمستند إلى عز الله تبارك وتعالى منبع العز. فلا يستعمل حقه لتحطيم المرأة وجعلها ذليلة، فيضرّ بحركتها الداخلية الحرة إلى الله، تلك الحركة التي لأجلها شرّع الله الحقوق.

مضافا إلى أنه يُفترض أن المؤمن أساسا لا يبحث عن حقوقه، فاتباع شرع الله ينتج فيه حالة الإيثار في هذه الدنيا والقتال في سبيل المستضعفين، ومنهم المرأة التي خلقها الله ضعيفة كما في رواية الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: "**اتقوا الله في الضعيفين –يعني بذلك اليتيم والنساء–** ..."[٥٧].

وشتّان بين هذا وبين من يتعامل بالمنطق الكافر، منطق المصالح الدنيوية الشخصية وإن كان يدّعي الإيمان، فهذا يتصور أنه كلما كانت المرأة أشد ذلّا كانت أكثر نفعا وطاعة له، وأكثر تأدية لحقوقه وطلباته. فتارة يحاول تحطيم عزّها مستعملا حق الطلاق مثلا ليهدّدها به متى رأى منها عصيانا ومخالفة لرغباته، وإن كانت هذه الرغبات ممّا لم يُشرَّع له حق فيها. وتارة أخرى يجسد رغبته في إذلالها باستعمال حقه في منعها من الخروج من البيت، بتصور أنه خير للمرأة أن لا تخرج حتى لا تستمع لرأي غيره، وإنما تستقي أفكارها منه هو

---

(٥٦) سورة المنافقون (٨)

(٥٧) الكافي (٥/٥١١) كتاب النكاح

فقط، فيبقى شعورها بالحاجة إليه والذل تجاهه دائما، وهو في واقع الأمر يملي عليها رأيه، لا أنه يساعدها في الحركة الحرة إلى الله.

إن التعامل الأخير يجسّد منطق الكفر كما يجسّد التعامل الأول منطق الإيمان. فالإيمان والكفر ليسا بحدود كلمات تقال، وإنما هما حركتان ونجدان: نجد خير ونجد شر.

مساعدة المرأة في الحركة إلى الله

يختلف المؤمن عن غيره من الناس، فهو هادف، يبحث عن وجه الله تبارك وتعالى فيقصده، ويستهدف ذلك القول المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله "...**وأيم الله لئن يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت...**"(٥٨)، فيتطلّع في تعامله مع زوجته إلى هدايتها لطريق الحق ويأخذ بيدها لتتحرك إلى الله.

وإن أحد أهم المعالم الرئيسية في الحركة الصالحة إلى الله هو رغبة الإنسان أن يكون إماما في طريق الهدى "...**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاما**"(٥٩). فالمؤمن يعلم أنه إمام، بل وأن كل إنسان إمام شاء ذلك أم أبى، بلحاظ أنه يؤثر على غيره بدرجة، والآخرون يتأسّون به في نطاق تختلف

(٥٨) فروع الكافي (٢٨/٥) كتاب الجهاد

(٥٩) سورة الفرقان (٧٤)

سعته من شخص إلى آخر، ولكن على أقل التقادير له تأثير في محيط أبنائه وذويه.

ويعلم أن هذه الإمامية قد تكون في جانب الضلال، أي يكون إماما للفجّار[٦٠]، على اختلاف في الدرجات بطبيعة الحال، يقول تعالى: **"قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابا ضِعْفا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلّ ضِعْف وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ"**[٦١] فهو كان حلقة في سلسلة، فسد وبفساده أفسد شخصا آخر بدرجة من درجات الفساد، وذاك بدوره أفسد غيره، وهكذا... أي أنه كان إماما ينقل الانحراف ومظاهره إلى الآخرين بكلامه وسلوكه، وأكثر الناس عقولهم بعيونهم، يتأثرون من دون أن يفكروا أو يتدبروا ليعقلوا.

وعلى النقيض تماما من الممكن أن تكون الإمامية في جانب الهدى، أي يكون الإنسان إماما للصالحين ينقل الهدى ومظاهره بدرجة وأخرى للآخرين بكلامه وعمله، فيشكل حلقة في طريق نشر

---

(٦٠) استعمل القرآن الكريم تعبير الإمام في غير مورد الصلاح كذلك، يقول تعالى: **"وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ "** القصص (٤١)، ويقول تعالى: **"فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ "** التوبة (١٢)

(٦١) الأعراف (٣٨)

الصـلاح والهـدى.

وبملاحظة أن المؤمن يتعامل مع زوجته كموجـود حرّ مثله، يرغب في نقل هذه الرؤية لها ويحاول تنمية روح الإمامة الصالحة فيها، لا بالفرض والإملاء عليها من خارج ذاتها كما يُفعل مع الطفل ليصبغها بالصبغة التي هو يـراها صالحة، بل بأن يساعدها لتتحرك بنفسها وبإمكانياتها الذاتية لتصل لتلك الرؤية. فيبين لها أنها هي كذلك من الممكن أن تكون حلقة في اتجاه الصلاح[٦٢] فتساهم في نشر النور والهدى بدرجة، أو أن تكون حلقة من حلقات الضّلال وتصبح سيدة للنساء الضّالات سواء بالقول أو السلوك. فهنالك عيون ترقُـبها وتتأثر بها، وعليها أن تهتم بتلك العيون بصفتها مسلمة، ففي تلك الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **"من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم"**[٦٣]، وأنها ببيتها وبملبسها وبمأكلها وبخروجها وبمشترياتها وبطريقة كلامها وتعاملها... تؤثر على الآخرين، فإما يهتدون بسببها بدرجة، أو ينحرفون بسببها بدرجة، وهذا يُشعرها بمسئولية ينبغي أن لا تغفل عنها باعتبارها خليفة الله في الأرض.

والزوج باعتـــباره أقرب الناس إلى زوجته يستعين بالوسائل التي

---

(٦٢) يمكن التعـبير عن الصـلاح أو الضـلال بـ(الاتجـاه) على اعـتبار أنهما حـركة في مسار.

(٦٣) الكافي (١٦٣/٢) كتاب الإيمان والكفر

تحررها من داخلها وينمي فيها تلك البذرة التي خلقها الله في كل إنسان **"وَنَفْس وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا"**(٦٤) حتى تستطيع أن تزكي نفسها وتقوم بالقسط **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ"**(٦٥)، بل وتكون إماما في هذا الطريق.

وهو في هذا كله يربطها بفاطمة عليها السلام مستشهدا بسيرتها، ففي الرواية المنقولة عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه: **"رأيت أمي فاطمة** عليها السلام **قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها يا أمّاه لِمَ لا تدعوَن لنفسك كما تدعون لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ الجار ثم الدار"**(٦٦)

أي أن اهتـــمامات فاطمة عليها السلام كانت اهتمامات واسعة، وليست مركـــزة على ذاتها ومصـــالحها الدنيوية، والمرأة إن كانت مؤمـــنة تبحث عن وجـــه الله تبارك وتعالى عليها أن تهتدي بنور فاطمة عليها السلام، فهي سيّدتها وسيّدة نساء العالمين.

---

(٦٤) سورة الشمس (٧-٩)

(٦٥) سورة النساء (١٣٥)

(٦٦) علل الشرايع (٢١٥/١) باب ١٤٥

بهذا يتعامل الرجل مع زوجته بشكل تشعر معه في داخلها أنها إنسانة حرة مستقلة، ولها كيان جدير بأن يُعَزّ ويُحترم، وقادرة على أن تحقق الرسالة العامة المشتركة بينها وبين الرجل من دون أن يؤثر على بعديْها الآخريْن. وهنا يستطيع الرجل أن يدّعي بأنه ما خان الأمانة، هذا التعبير الذي ينقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وآله عند وفاة فاطمة عليها السلام **"قد استُرجِعَتِ الوديعة"**(٦٧)، فهذه الوديعة هو أدّاها كما أخذها. كذلك الرجل يستطيع أن لا يضيع وديعة الله عنده إذا ركز على بعدها الإنساني بالخصوص، وأعطى لزوجته الحق في أن تكون مثله، بل وحتى أفضل منه.

قيمومة الرجل أصل في التشريع

على أن الإسلام حين حمّل الرجل مسئولية زوجته بنى على أصل رئيس وهو أن الرجل قيّم على المرأة، والمرأة تنسق معه. وهذا تماما خلاف مقاييس العالم اليوم الذي يرى في هذا إذلالا للمرأة، فلِم هي التي تنسق مع الرجل؟ لِم لا ينسق الرجل معها؟

إن شرع الله متوافق مع خلق الله، فهذا متوافق مع خلقة كليهما. المرأة مخلوقة بحيث تجد قيمومة الرجل مغروزة في داخلها وهي

(٦٧) الكافي (٥٣١/١) باب مولد الزهراء فاطمة عليها السلام

فطريا يمكنها أن تنسق معه، في حين أن الرجل كرجل قيّم لا يمكن شرعا أن ينسق مع زوجته إضافة إلى أنه تكوينا يأبى التنسيق كما مرت الإشارة إليه.

هذه القيمومة هي أصل موضوع في الإسلام قابل للبحث، لولا أنه توجد حساسية مسبقة تجاهه من قبل المرأة والرجل كذلك، لذا هي تحتاج إلى كثير من الاستقامة لأن يفهمها الإنسان فهما صحيحا، ولكن إجمالا أقول: إن هذا الأصل يخضع لتلك القاعدة الكبيرة أن كل مجتمع (والزوجان خلية من خلاياه) يجب أن يكون فيه إمام وقيّم(٦٨)، حتى ينتهي إلى قيمومة الله وهيمنته وولايته تبارك وتعالى على كل شيء وبينهما متوسطات.

والمرأة البصيرة تعرف هذه الموازنة، لذا هي تحاول أن تُشعر الرجل بقيمومته وتقوي فيه هذه الشخصية كرجل حتى تُمكّنه من أن يؤدي إليها حقها، تشعره أنه قوي حتى يستطيع أن يحميها، لأجل نفسها تُسنده حتى يكون عونا لها في حركتها إلى الله. وهي لا تجد في هذا التنسيق في حدود الشرع وخفض جناح الذل من الرحمة له والعطف معه مهانة وذلا، بل على العكس من ذلك تجد فيه ما يدل على عظمتها وقوتها وعزها في طريق الله عز وجل. ولولا شعورها بالقوة

(٦٨) راجع الكافي (١/ ١٧٠) كتاب الحجة، محاورة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد في مسجد البصرة.

والعـز والشخصية ما كان من الممكن أن تقـوم بهـذا الدور، وهذا لا يحصل إلا في شريعة الله ووفق مقاييسه، أما المقاييس الكافرة فكلها ضلال. ولعل إلى هذا المـعنى تشير الرواية المـروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "**إن خـير نسائكم ... العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلها**..."(٦٩).

دور المرأة في حركة الرجل

كما أن للرجـل دورا في حركة المرأة فـإن للمرأة دورا في حركـته، بل إن دورها أعـظم. ذلك أن المرأة هي القـادرة على أن تُشعر الرجـل بقيمومته والتي لولاها لا يمكـنه أن يقوم بـدوره تجاهـها وتجـاه نفـسه. بل إن لها الإمكانـية أن تُسـنده فتصـنع مـنه رجلا عظيـما، فالقول المعروف "وراء كل رجـل عظيـم امرأة" يحـكي حقيقـة واقعـية وقـدرة عجيـبة للمرأة تصنع بها المعجزات، والرجـل يتأثر بها ويتفاعل مـع قولها ومشـاعرها أكـثر مما يتـأثر

(٦٩) الكافي (٥/ ٣٢٤)

حاول صاحب مجمع البيان رضوان الله عليه أن يُفرق بين الذُّل والذِّل. فجعل الذُّل بمعني المهانة والشـعور بالنقص، في مقابل العـز بمعنى التكبر. والذِّل بمعنى اللين وعدم الشدة، والذلول من المراكب ما لا صعوبة فيه، في مقابل العز بمعنى الشعور بالقوة. ولكن لسان العرب يذكر أن الكلمتين بمعنى واحد وهو اللين، ضد الصعوبة.

برجـــل مثـــله[٧٠].

وقد استطاعت الكثيرات من النساء أن يؤثّرن في أزواجهن الفاسدين ويجعلن منهم رجالا صالحين. بل إن في تاريخ الإسلام نماذج لنســاء مؤمنات استــطعن بإمكانياتهن الذاتية أن لا فقط هن يتحركن إلى الله، بل كنّ نعم العون والسند لأزواجهن في جهادهم في سبيل الله.

فهــذه زوجــة زهير بن القـــين، حين جــاء مبــعوث الإمـــام الحسين عليه السلام إلى زوجها امتــنع عن إجابته، فنادته من وراء الســتر وهو في مجلس الرجال "سبحان الله، أيبعـــث إليك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ثم لا تأتيه، لو أتيته فسمعت من كـــلامه"[٧١]. فاستــجاب لها وكان أن التـــحق بالإمـــام الحسين عليه السلام. هذه الزوجـــة كانت ذليلة لزوجها وتســـتجيب له تقـــربا إلى الله تعالى، وهي في نفس الوقت متحجبة ومتســـترة وما كانت تبرز في المجتـــمع، لكن مع ذلك كله ما كانت فاقدة لشخصيتها، فهي كانت تعي الحق أفـــضل من زوجـــها، بالرغم من أن زهـــيرا كـــان له تاريـــخ ويعتبر من كبـــار الشخصـــيات الإســـلامية في ذلك الحين. تلك المـــرأة استـــطاعت أن تنصر الإمام الحسين عليه السلام لا بشـــخصها وإنمـــا عـــن طريق زوجها.

(٧٠) إن استخدام العالم للمرأة في الدعايات أكثر من الرجل إنما يعكس التفاته إلى هذه الحقيقة أن الرجل يتأثر بالمرأة أكثر مما يتأثر بالرجل.

(٧١) الارشاد للشيخ المفيد، ج٢ ص٧٣

هكذا المرأة الصالحة تستطيع أن تصنع الأشياء العظيمة، تستطيع أن تؤثر في المجتمع تأثيرا كبيرا لا بشكل مباشر وإنما عن طريق الرجل. هذا الدور المُغيّب للمرأة[٧٢] على خلاف النظرة السائدة اليوم والتي تبحث فيها المرأة عن دور مستقل لها للجهاد والمجاهدة.

والحمد لله رب العالمين

(٧٢) تحدث السيد الباقري-حفظه الله- عن هذا الدور بالتفصيل في مناسبات مختلفة مبينا كيف أنه ينسجم مع ما يطرحه الإسلام ويشرعه.

للـتواصـل:

E-mail: muddakerat@gmail.com